الإحسان
في بيان القرآن
سبيل صلاح الأمة

فالحق أنه على مقدار وقوف المسلمين خاصة والإنسانية عامة على ما يحويه **القرآن المجيد** من إرشاد وهداية ، محققين لتعاليمه ومطبقين لهدايته ، يكون تقدم الحياة البشرية ورقيها وأمنها وسعادتها .

وقيمة واحدة من قيم **القرآن العظيم** من شأنها أن توحد الشخصية الإنسانية بكل نشاطها واتجاهاتها ، وتجعلها ترقى سلم المجد والعزة ، وتسلك سبيل التقدم والازدهار ، وتحيل الإنسان قوة منتجة بنّاءة ، يكتشف كنوز الكون ، ويسخرها لنفع نفسه ونفع غيره .

مفهوم الإحسان ...

ومن مبادىء القرآن وقيمه السامية الجليلة : « **الإحسان** » الذي تكرر ذكره في القرآن المجيد ما يقرب من مائة وأربع وتسعين مرة ، وتدور مادته في مختلف مشتقاتها حول **معنى الجمال والإتقان والإجادة** ، تقول : **احسنت الشيء إذا اجدت صنعه واتقنته** . **وحسّنت الشيء تحسيناً إذا زينته وجملته** ، **والحسنة : هي النعمة التي ينالها المرء** ، **وتطلق على الخير والطاعة والمعروف** .

والحسن : حالة حسية أو معنوية جميلة تدعو إلى قبول الشيء ، وترغب النفس فيه ، ويكون في الأقوال والأفعال والذوات والمعاني ، كما يطلق الإحسان على مقابلة الخير بأفضل منه ، ومقابلة الشر بالعفو والصفح .

فإذا أضيف إلى كل هذه المعاني التي ينبىء عنها الإحسان قول الرسول ﷺ : « **الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك** » ، يتضح أن المحسن هو المراقب لربه ، المخلص في عمله ، المتقن لصنعته ، الباذل للمعروف والخير ، لأن الإنسان إذا عبد ربه في الدنيا على وجه الحضور والمراقبة ، كأنه ينظر إلى الله عز وجل في حال عبادته ، مستحضراً لعظمة الله تعالى ومراقبته له ، غرست في قلبه الخشية والهيبة والتعظيم والخوف ، وذلك يوجب عليه النصح في العبادة ، وبذل الجهد في تحسينها وإكمالها وإتمامها على الوجه الذي ينبغي أن تكون عليه .

الإحسان في كتاب الله تعالى ...

والقرآن الكريم بأسلوبه المعجز وكلامه البليغ وبيانه الواضح يوضح لنا « **الإحسان** » كمنهج عمل متكامل ، وأسلوب تربوي عظيم من شأنه أن ينشىء الفرد الصحيح الصالح ، ويقيم المجتمع القوي السليم ، ويخرج الأمة الخيرة المستقيمة .

فقد جاء ذكر الإحسان في القرآن الكريم : تارة مقروناً بالإسلام ، كما في قوله تعالى :

﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (البقرة:١١٢) .

وقوله :

﴿ وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدْ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ﴾ (النساء:١٢٥) .

وتارة مقروناً بالإيمان كقوله تعالى :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾ (الكهف:٣٠) .

وتارة مقروناً بالإيمان والتقوى كقوله تعالى :

﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا ٱتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ ثُمَّ ٱتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (المائدة:٩٣) .

وهذا يقرر أن الإحسان ينشأ وينبع من إسلامه الوجه لله تعالى ، أي أن يسلم المرء ذاته ونفسه لأوامر الله عز وجل ، ويمتثلها امتثالاً واقعياً ، مطبقاً في أداء ما فرض الله تعالى من فرائض وواجبات ، والإتيان بها على وجه الكمال والإتقان بدون ما خلل أو نقصان .

كما يتمثل في ترك المحرمات التي نهى الله عنها ، والابتعاد عنها ظاهراً وباطناً ، سراً وعلانية ، كما قال تعالى :

﴿ وَذَرُوا ظَاهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ ﴾ (الأنعام:١٢٠) .

بقلم : د. محمد ابراهيم الشافعي

■■ إن كل من تدبر القرآن الكريم ، وتفهم معانيه وأهدافه سوف يظهر له ما يتضمنه هذا الكتاب الحكيم من حِكَم وأحكام ، وتشريعات وآداب ، ونظم ومبادىء ، تنتظم جميعها ، لتكون منهجاً كاملاً متكاملاً للحياة الإنسانية السعيدة الراقية الآمنة ، حياة مؤسسة على عقيدة راسخة ، وإيمان قوي بالله عز وجل ، منتظمة على طريقه السوي المستقيم ، مستهدفة تحقيق معاني الخير والبر والصلاح والفوز والفلاح في الدنيا والآخرة . ■■

ومنهج رقيها

الإحسان استكمال جميع المستحبات والمندوبات ..

ثم تترقى درجة الإحسان في قلب الإنسان ونفسه إلى أن تصل إلى مرتبة إكمال جميع المستحبات والمندوبات ، والمداومة على كل فعل وعمل وقول يحبه الله تعالى ويرضاه ، وإتقان كل عمل وكل إلى المرء وأسند إليه القيام بشأنه ورعايته .

وهذا ما نستوضحه من آيات الله عز وجل البينات التي توضح لنا منهج المحسنين مع ربهم وخالقهم ، كما في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ، ءَاخِذِينَ مَآءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ، كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ، وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ (الذاريات: ١٥ـ١٨) .

فقوله تعالى : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ ﴾ أي في الدنيا ﴿ مُحْسِنِينَ ﴾ . ثم إنه تعالى فصَّل وبين إحسانهم في العمل فقال عز من قائل : ﴿ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴾ (الذاريات: ١٧) ، أي كانوا ينامون القليل من الليل ، ويقومون يتهجدون في معظمه .

يقول ابن عباس رضي الله عنهما : « **ما تأتي عليهم ليلة ينامون حتى يصبحوا إلا يصلون فيها شيئاً إما من أولها أو من وسطها** » .

ويقول الحسن البصري : « **كابدوا قيام الليل فما ينامون من الليل إلا أقله ، وربما نشطوا فجدُّوا إلى السحر** » .

وقوله تعالى : ﴿ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ (الذاريات: ١٨) ، بيان لكونهم مع قلة هجوعهم ونومهم وكثرة صلاتهم وتهجدهم يداومون على الاستغفار وقت السحر (**الثلث الأخير من الليل**) ، كأنهم أسلفوا ليلهم في اقتراف الجرائم ، أو قَصَّروا في طلب مرضاة ربهم وخالقهم ، فهم يتطلعون دائماً إلى أعلى الدرجات ، وأسمى المقامات ، وأجمل الحالات ، فالآيات الكريمة تصور إحسانهم صورة خاشعة رنانة حساسة ، فهم الأيقاظ في جنح الليل والناس نيام ، المتوجهون إلى ربهم بالاستغفار والاسترحام ، لا يطعمون الكرى إلا قليلاً ، ولا يهجعون في ليلهم إلا يسيراً ، ويخف بهم التطلع إلى مرضاة ربهم فلا يثقلهم المنام ، وإنما يحدوهم إلى عمل الصالحات ، وفعل المكرمات ، ما يأملون ويرجون من نعيم ورضوان .

وبهذه الأخلاق الرفيعة الجميلة تحسن علاقاتهم وصلاتهم بأبناء مجتمعهم .

الإحسان بذل الخير وفعل البر ..

فالقرآن الكريم يبين لنا أن المحسنين دائماً مسارعون إلى بذل الخير والبر والمعروف في حالتي الشدة والرخاء ، والمنشط والمكره ، والصحة والمرض ، فهم يعفون عن من ظلمهم ، ويحلمون على من أساء إليهم وآذاهم ، فإذا ساربهم الغيظ كتموه وحبسوه وطردوه ، فلا تترتب في أنفسهم موجدة لأحد ، فقلوبهم دائماً مملوءة بالصفاء ، والحب والرحمة ، والشفقة والرغبة في الخير ، والإحسان والعفو والغفران .

فهم بحق محسنون في معاملة خلق الله وعباده ، يعاشرونهم بالمعروف ، ويقومون نحوهم بما أوجب الله تعالى عليهم من حقوق وواجبات ، بل يزيدون على ذلك بالفضل والإحسان .

يقرر ذلك ويوضح هذه الأوصاف ويجليها للناظرين قوله تعالى عقب الآيات آنفة الذكر : ﴿ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴾ (الذاريات: ١٩) ، أي جعلوا في أموالهم جزءاً معيناً متميزاً عزلوه ليؤدوه إلى الفقير والمحتاج ، والمتعفف الذي لا يجد ما يغنيه ، ولكن يعز عليه السؤال ، يقول تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (آل عمران: ١٣٤) .

فهم مع أنهم يبذلون العطاء لكل سائل أو محتاج ، ويواسون غيرهم في السراء والضراء ، فهم الذين يتجاوزون عن ذنوب الناس ، ويتركون مؤاخذتهم مع القدرة على ذلك ، ويحسنون إلى غيرهم بإيصال النفع إليهم ، ودفع المضرة عنهم .

الإحسان في بيان القرآن

إحسان رسول الله ﷺ وآل بيته ...

ومن الأمثلة التطبيقية التي سجلها لنا التاريخ الإسلامي عن إيمان المحسنين وقدوة المتقين رسولنا محمد ﷺ : ما روي أن زيد بن سعنه جاءه قبل إسلامه يتقاضاه ديناً عليه ، فجبذ ثوبه عن منكبيه ، وأغلظ له في القول ، ثم قال : **إنكم يا بني عبد المطلب مطل - وهو التسويف - في الدين .**

فانتهره عمر رضي الله عنه وشدد في القول ، ورسول الله ﷺ يبتسم ، ثم قال : « **انا وهو كنَّا إلى غير هذا منك أحوج يا عمر ! تأمرني بحسن القضاء وتأمره بحسن التقاضي** » .

ثم قال : « **لقد بقي من أجله ثلاث** » ، ثم أمر عمر أن يقضيه ماله ويزيده عشرين صاعاً لما روعه .

وقد أثر هذا الموقف الفريد ، وهذا الحلم الفائق في نفس زيد ، فكان سبب إسلامه ، وكان يقول : **ما بقي من علامات النبوة شيء إلا عرفتها في محمد إلا اثنتين لم أخبرهما ، يسبق حلمه جهله ، ولا تزيده شدة الجهل إلا حلماً ، فاختبرته بهذا فوجدته كما وصف .**

وعلى المنهج نفسه من الصفح والحلم والعفو والإحسان يسير الأصحاب والأتباع .. روى **البيهقي** ، أن جارية **لعلي بن الحسين رضي الله عنهما جعلت تسكب عليه الماء ليتهيا للصلاة ، فسقط الإبريق من يدها ، فشجه فرفع راسه فقالت :**

إن الله يقول : ﴿ وَٱلْكَاظِمِينَ ٱلْغَيْظَ . . . ﴾ .

فقال لها : **كظمت غيظي .**

قالت : ﴿ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ﴾ .

قال : **قد عفا الله عنك .**

قالت : ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ .

قال : **اذهبي فانت حرة لوجه الله تعالى .**

الإحسان صبر على قدر الله ...

فالمحسنون صابرون على المقدورات ، راضون بما قضاه الله تعالى وقدَّره ، من غير تسخط ولا جزع ، هم ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ (البقرة:١٥٦) .

فالحق أن الأحسان قيمة كبرى ، ومبدأ إلـهي عظيم يشمل كل جانب من جوانب النشاط الإنساني ، وكل عمل من أعمال البشر ، لذا أمر الله تعالى به وحث عليه ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَأَحْسِنُوا إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (البقرة:١٩٥) ، وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلإِحْسَانِ ﴾ (النحل:٩٠) .

فإنه إذا كان العدل يحقق التوازن والانسجام في المجتمع المطبق له في جميع مجالات حياته ، حيث إنه يفيد إعطاء المرء ما عليه وأخذ ماله ، فالإحسان من شأنه أن يحقق تمام التوازن وكمال الانسجام ، وينشىء الألفة والمحبة ، ويشيع روح الترابط والتعاون بين أفراد المجتمع الذين يتخذونه صبغة ومنهجاً ، وطريقاً وخلقاً وسلوكاً ..

الإحسان فوق العدل :

فإن **الإحسان فوق العدل** ، حيث إنه يفيد إعطاء المرء أكثر مما عليه ، وأخذه أقل مما له . فهو يمثل تفوق واتساع دائرة الخير على دائرة الشر في الوجود ، وهو علامة ظاهرة على ما يتجمل ويتزين به المجتمع المسلم المؤمن بروح الصفاء والإخاء والوئام .

ومن ثم جاء حديث رسول الله ﷺ موجباً ومؤكداً للإحسان بكل معانيه ، في كل نشاط من أنشطة الإنسان ، وكل عمل من أعماله .

فعن ابي يعلى شداد بن أوس رضي الله تعالى عنه ، عن رسول الله ﷺ قال :

« **إن الله كتب الإحسان على كل شيء : فإذا قتلتم فاحسنوا القِتْلة ، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذِبْحة ، وليحدَّ احدكم شفرته وليرحْ ذبيحته** » .

فياحبذا لو سار المسلمون على منهج الإحسان الذي يرشد إليه القرآن ، ويحث عليه الرسول عليه الصلاة والسلام ، ويلتزمون به التزاماً تاماً أكيداً .

إنهم لو فعلوا ذلك لنالوا خيري الدنيا والآخرة ، لأن الإحسان يجلب لهم محبة الله تعالى ورضاه ، ومعيته بالنصر والتاييد والعون والتوفيق ، يقول تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا وَّٱلَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾ (النحل:١٢٨) .

وبذلك تطمئن حياتهم ، وتستقر معيشتهم ، وتشمل البركة أعمالهم ، فيرتقون سلم المجد والتقدم والحضارة ، وهذه هي حسنة الدنيا ، والمكافأة الطيبة التي يسبغها الله عز وجل على من أحسن أعماله ، وأتقن أفعاله ، يقول تعالى : ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ﴾ (الزمر:١٠) ، ناهيك عما أعده الله تعالى للمحسنين في الآخرة من نعيم مقيم ، ورضوان عظيم .

وبذلك تحقق الأمة الإسلامية أهدافها ، وتصل إلى مركز القيادة والريادة للعالم أجمع كما أحب الله تعالى لها أن تكون في طليعة الأمم ، وإمامة الشعوب . يقول تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ (آل عمران:١١٠) .